

«الإخوان» قرب النهاية»

الكاتب



عبدالله السناوي

عبدالله السناوي

تتبدى نذر النهاية في أزمة «الإخوان المسلمين» المتفاقمة بين جبهتين متصارعتين أحدهما في لندن يقودها إبراهيم منير القائم بأعمال المرشد العام، والأخرى في إسطنبول يقودها محمود حسين الأمين العام.

غابت في صخب الانشقاق الجاري أمام الرأي العام أية خلافات سياسية وفكرية، وحضرت بخشونة الألفاظ منازعات الحصص المالية، كأننا أمام مشاهد مقتطعة من روايات المافيا الإيطالية.

لم يعد ممكناً أن تدعي الجماعة، أمام نفسها قبل الآخرين، أنها «حركة ربانية» مبرأة من الأخطاء والخطايا المالية والأخلاقية، أو أن «فلوسها فيها بركة» - على ما قال مرشدها العام الأسبق مصطفى مشهور في 3 نوفمبر 2002

كانت تلك دعاية سياسية لم يكن يصدقها أحد. في حوار تلفزيوني واجه مذيع محسوب عليهم محمود عزت، الذي كان «يوصف بالرجل القوي، بأن «الجماعة ليست مقدسة وفيها لصوص ونصابون

لم يعلق بحرف واحد الانكشاف الأخلاقي الوجه الآخر للانكشاف السياسي بازدواجية الخطاب حسب مقتضى الظروف المتغيرة.

في سنوات حسني مبارك الأخيرة اضطرت الجماعة أن تدخل على قاموسها السياسي حتى لا تنعزل عن الحركة العامة. في المجتمع مصطلحات تخالف ثقافتها المتوارثة مثل الديمقراطية والتعددية وطلب الاندماج في قواعد اللعبة السياسية

في أحاديثه للصحافة الغربية دأب «مبارك» على استخدام «فزاعة الإخوان المسلمين» لتسويق التباطؤ في الإصلاح

السياسي والدستوري، فالانتخابات الحرة - كما كان يعتقد- قد تحملهم لمقاعد الحكم

وصلت فوضى التصريحات وتناقضاتها بين المعارضة والتأييد في لقاء صحفي ضم المرشد العام «مهدي عاكف» إلى اثنين من الصحفيين الأوروبيين ريمجيو بيني مدير الوكالة الإيطالية بالقاهرة وجاك ديكن مراسل صحيفة «لايبير بلجيك» التي تصدر في بروكسل

قال بالحرف: «أرسلنا رسائل للنظام للحوار، غير أنه لم يرد علينا». «نؤيد مبارك للترشح بشروط أهمها: إلغاء الطوارئ».

في رد على سؤال افتراضي: «لو فزتم بالانتخابات التشريعية، وشكلتم حكومة ائتلافية، فمن أقرب الأحزاب إليكم؟». «كانت الإجابة: «الأحزاب ضعيفة ولا نعتد بها

». في رد على سؤال آخر: «ما عددكم؟» كانت الإجابة: «محبونا بلا حصر

لم يكن انطباع المراسلين الصحفيين الأوروبيين إيجابياً؛ حيث بدا أمامهما خطاب «الإخوان المسلمين» متعدد الأوجه، يقول للرأي العام ما يريد أن يسمعه، ويقول للسلطة ما تريد أن تطمئن به، ويقول للغرب ما يرضيه

». بتوقيت مقارب تبدت إشارات ورسائل معلنه عن دور أمريكي محتمل في تزكية صعود جماعة «الإخوان المسلمين

كانت الإشارة الأهم ما قالته كونداليزا رايس وزيرة الخارجية الأمريكية في ذلك الوقت من أن بلادها لا تمنع في وصول «الإسلاميين للسلطة، تلتها دعوة من الاتحاد الأوروبي لحوار مع جماعة «الإخوان المسلمين

كان ذلك رهاناً مبكراً على الجواد الإسلامي في ترتيبات السلطة ما بعد مبارك

لم يكن السفراء والدبلوماسيون الغربيون بالقاهرة مرتاحين لإشارات تصدر من واشنطن وبروكسل عن حوارات جرت، «أو قد تجرى بين الإدارة الأمريكية، أو الاتحاد الأوروبي، مع جماعات إسلامية خاصة «الإخوان المسلمين

عند منتصف العقد الأول ICG كان تقدير الدكتور هيو روبرتس مدير مشروع شمال إفريقيا في مجموعة الأزمات الدولية من القرن الجديد أن موقف الدبلوماسيين الغربيين بالقاهرة مفهوم وطبيعي نظراً لما هو مطلوب منهم من أدوار في تحسين العلاقات بين الدول والحفاظ عليها دون توترات قد تضر بمصالح استراتيجية

سألت هيو روبرتس وموقعه في أحد المراكز البحثية الدولية المرموقة يمكنه من أن يقترب من دوائر صنع القرار: هل هناك الآن قنوات حوار غير معلنه بين «الإخوان المسلمين» في مصر والإدارة الأمريكية؟

كانت إجابته: «ليس لديه ما يؤكد أن هذا الحوار قد بدأ فعلاً بأفقه الجديد، الذي دعت إليه كونداليزا رايس وقيادات في الاتحاد الأوروبي.. لكن ما أستطيع أن أؤكد أنه هناك طريقتين في التفكير داخل دوائر صنع القرار؛ بل وداخل مؤسسات التفكير والأبحاث الأمريكية والغربية

الأولى، تحاول أن تبحث في الدستور عن مساحة لوجهة نظر إسلامية تدمج التيار الإسلامي في بنية المجتمع المدني «والسياسي. والثانية، تنظر للمشكلة من زاوية الجغرافيا السياسية، أو من وجهة نظر غربية محضة

كان اعتقاد الدكتور روبرتس، أن الحوار المطلوب من كونداليزا رايس ليس استكشاف التيار الإسلامي، وإنما العمل على ضمه إلى صفوف السياسة الأمريكية، لا تقبله كما هو؛ بل تطويعه لما تريد الولايات المتحدة

في أحوال ثورة «يناير» تماسكت الجماعة، التي كانت على وشك التصدع بأثر برامجها الزائدة وتراجع الثقة العامة في التزاماتها المعلنة، طلباً لسلطة انتظرتها عقوداً طويلة

كان ذلك ترميماً مؤقتاً لشروخ عميقة في بنية الجماعة، التي وجدت الأبواب مفتوحة أمامها لـ«التكويش على السلطة»، تنكرت لوعودها الانتخابية، روعت القوى المدنية وخطفت الثورة نفسها

لم يكن هناك عيباً، وفق القواعد الديمقراطية، أن يصل حزب ما إلى السلطة بصناديق الاقتراع، غير أن الكلام عن الخوف والتخويف بذاته تفزيع مسبق للمجتمع أفضت تداعيات منطقها لإطاحة الجماعة من الحكم بعد سنة واحدة من وصولها إليه

سقطت الجماعة من داخلها، لأنه يستحيل موضوعياً التوفيق بين طلب الديمقراطية وتبعات السمع والطاعة

هذه حقيقة نهائية والباقي تفاصيل ...